



و الروح النبوة

تلخيص محاضرة

لماذا نتحجب؟

رواء الإثنين | د. هند القحطاني

١- محرم - ١٤٤٥ هـ

تمشين كالقمرِ حُسناً وبهاءً ودلالاً، فهل

رضي ربُّ القمر؟

حديثنا اليوم حديث لا تنقصه الصراحة،
تحت عنوان: **لماذا نتحجب؟** هذا السؤال
المهم والمُلح، والذي يُطرح كثيراً على
سياقات مُتعدّدة، ومع ذلك لا زالت هناك
نقاط مبهمّة، تجعل الشخص يَحْتار في
سبب اتخاذ هذا القرار أو الإقدام عليه،
وحديث هذا اليوم سيكون حواراً هادئاً
لكل من

تركت الحجاب

أو نزعَت النّقاب

أو من تفكر في تركه

أو من تلبسهما بيد مهزوزة ومرتبكة.



يقول الله تعالى لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم:-

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ
الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ)

(الأحزاب: 59)

”الحجاب“ هذه العبادة التي اختص الله بها النساء دون

الرجال، هذه الشعيرة التي نحتاج أن نراجع فيها علاقتنا

مع الله عز وجل، وأن نجدد إيماننا بها، ونذكر أنفسنا

بأهميتها، وأنها تشريع إلهي أوجبه الله على النساء.

هذا التشريع الإلهي الذي تلازمه تساؤلات كثيرة،

وبسياقات متعددة، ما هو الحجاب؟ وهل هو عادة أم

عبادة؟ ومتى شرع الحجاب؟ ولماذا نتحجب؟ تساؤلات

كثيرة تجعلنا في بحث مستمر عن أجوبة تهدأ بها

نفوسنا، وتقرُّ بها أعيننا، في زمن كثرت فيه الفتن

والملهيات، وزادت الغفلة، واستسهلت المعصية.

متى شُرِعَ الحجاب؟

شُرِعَ اللهُ الحجاب في السنة الخامسة بعد الهجرة، وكانت المرأة قبل ذلك تجلس مع الرجال بلا حجاب، ثم أنزل اللهُ جل وعلا آية

الحجاب: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ

وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِنْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ۗ

ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ

غَفُورًا رَحِيمًا) (الأحزاب: 59)

ومعنى الإدناء في اللغة العربية وهو الإدناء

من الأعلى إلى الأسفل.



كيف كان لباس المرأة في الجاهلية قبل أمر الحجاب؟

كانت النساء في الجاهلية يضعن خمرهن ثم يردينه خلفهن فيكون النحر والشعر والصدر باديا مكشوفاً، فالخمار وهو غطاء الرأس كان موجود أصلاً، لكن لا يشدونه ويظهرن الزينة ويتبرجن.

هل الحجاب عادة أم عبادة؟

لما كان الستر عمومياً- وحجاب المرأة خصوصاً- عبادة ربانية تمتزج مع الفطرة البشرية، كان من وسائل الشيطان وأعوانه فصل عبودية الحجاب، والإبقاء على كونه عادة، حتى يسهل تحكم الأهواء به، إلا أن أدلة حجاب المرأة في القرآن والسنة أقوى وأرسخ من أن تنزعها الأهواء.

الحجاب في القرآن الكريم:

1- قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ
وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ
جَلَابِيبِهِنَّ^ج ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ^ق
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الأحزاب: 59).

2- ذكر في قصة مريم -عليها السلام- بمعنى
الحجاب والساتر، قال الله تعالى: (فَاتَّخَذَتْ
مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا) (مريم: 17).

3- ورد الحجاب في قصة نبي الله سليمان -عليه السلام-، في قوله تعالى: (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) (ص: 32)، أي أنه أحب الخير-المال والخيل- حباً ألهاه عن ذكر الله -قيل صلاة العصر-، حتى توارت الشمس بالحجاب، والتواري الاستتار عن الأبصار، والحجاب في اللغة: هو **الستر أو الغطاء**، ومعناه عند الفقهاء: كل ثوب يغطي جسد المرأة ويحجب زينتها ومفاتنها عن الرجال الأجانب إلا ما استثني، كما قال الله تعالى في الآية الكريمة: (وَلَا يُدْرِكُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ) (النور: 31)، إلى آخر الآية.



وسنسهب في شرح أهم مفردتين وردتا في وصف الحجاب:

أولاً: الخمار:

قال تعالى: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) (النور: 31)، والضرب دلالة على الشدة، وأن يكون من الأعلى إلى الأسفل، مثال ضربت الكسوة على الكعبة ما معناها؟ هل شاهدتم مرة كيف تغير إسدال الكعبة؟ يضعون الكسوة من فوق فتضرب الكسوة على الكعبة، هذا هو الإدناء وهذا هو الضرب.

فالخمار لباس تلبسه وتشدّه المرأة في أعلى
الرأس وما دونه، ويستعمل لتغطية **ثلاث مواضع**
وشدها، وكل واحد منها يضرب عليه.

الأول: الرأس.

والثاني: الصدر، لأن الجيوب هي ما على الصدور من
التياب مما يدخل منه الرأس عند لبسه.

والثالث: الوجه، فإن الخمار قماش طويل ممتد
مشدود تنزله المرأة من قاعدته -وهي الرأس- على
ما شاءت ومنه الوجه.

وأصل استعمال النساء للخمار على أن له محيطاً
ووسطاً يبدأ من الرأس، ويحيط به وينزل تبعاً على
الكتفين والوجه والصدر.



لماذا سمي الخمار خماراً؟

الخمير في اللغة يأتي بمعنى التوارى والتغطية،
ومنه تخمير العجين ويقصد بها تغطيته،
والسؤال هنا ..

كيف تكون تغطية العجين؟ هل أضع الغطاء
حوله؟ أم أغطيه كاملاً؟

الجواب أغطيه كاملاً من فوق، ومن هنا أخذ
الخمير اسمه، ولذلك ما نحتاجه فهم اللغة
العربية وقراءة الآيات بتمعن.

وردت في القرآن كلمة جلابيبهن، ومفردتها الجلباب،

قال ابن عباس -رضي الله عنه- وهو ترجمان

القرآن: "أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من

بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق

رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة"، وقالت أم

سلمة -رضي الله عنها-: "حينما نزلت: (يُذْنِبْنَ

عَلَيْهِنَّ مِّن جَلَابِيبِهِنَّ) (الأحزاب: 59)، خرج نساء

الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من

الأكسية"، والجلباب الملحفة الكبيرة، التي تجلج

المرأة من إلى أخمص قدميها، وهو قريب من

العباءة اليوم لكنها غير مفصله، ويسمى القناع أو

الملاءة.



وقالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: "يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) (النور: 31) ، شققن أكف مروطهن فاختمرن بها"، والمرط ما يوضع على الخيام أو في المجالس، واعتجرن بها أي لفننها عليهن، والاعتجار بالعمامة هو كما يفعل بعض قبائل الصحراء حين يلبسون عمامة ثم يردونها على وجوههم.

وجاء في ذكر أحوال النساء أحاديث كثيرة،
في حجابهن وفي وخروجهن قبل فرض
الحجاب، وقد جاء من يستدل بأحاديث
قبل فرض الحجاب على تهوين الحجاب،
والعلماء كانوا يعرفون هذه الأحاديث
ويمرون عليها مرور العارفين لمنازلها
ومواضعها في الدين، حيث لم يكن تشريع
الحجاب والستر باللباس فرض جملة واحدة
بجميع تفاصيله، وإنما جاء متدرجاً.

لماذا نتحجب؟

الحكمة الأولى من الحجاب:

في قوله الله سبحانه: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۗ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) (الأحزاب: 53)، من خلال الآية يبين سبحانه **الحكمة من الحجاب** وهو أن الحجاب أطهر لقلوب الرجال والنساء، وأبعد عن الإثم والشر والفساد، فلو لم يكن الحجاب إلا هذه الآية لكانت كافية، لما فيها من الدلالة على وجوب الحجاب وبيان الحكمة في ذلك، وأن الحكمة أنه طهارة لقلوب الجميع من الفواحش وأسبابها وما يدعو إليها.

الحكمة الثانية:

”لا يؤذین“، فوالله لا يوجد جواب لسؤال لماذا الله أمرنا بالحجاب أرق ولا ألطف ولا أرحم من هذا الجواب: (ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ قُلُوبَهُنَّ وَاللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (الأحزاب: 59)، فقال الله حماية لك أنتِ لا للرجل، وليس الأذى فقط هو الاعتداء أو الاغتصاب، وأن الناس أصبحت بهائم أو حيوانات، لا! أنا أتحدث عن النظرة الأولى والكلمة الأولى.

وأجمع علماء المذاهب الأربعة:

المالكية والشافعية والحنفية والحنابلة

أن تغطية وجه المرأة الحرة الشابة عند خوف الفتنة بها واجب، خاصة عند من يطلقون أبصارهم إليها ولا تحتز منهم إلا بتغطية وجهها، هذا الإجماع في المذاهب الأربعة كلها، والمختلف فيه هو سبب التغطية.

شروط حجاب المرأة المسلمة أمام الرجال الأجانب:

أخذ العلماء شروط حجاب المرأة المسلمة أمام الرجال الأجانب من الأدلة الواردة في الكتاب والسنة، فإذا التزمت المرأة بها فلها أن تلبس ماشاءت وتخرج به إلى الأماكن العامة وغيرها، ويكون حجابها حجاباً شرعياً، وهذه الشروط باختصار:

1. أن يكون ساتراً لجميع البدن.
2. أن يكون ثخيناً وسميكاً لا يشف عما تحته.
3. أن يكون فضفاضاً غير ضيق، ولا يوضح مفاتن الجسد.
4. أن لا يكون زينة في نفسه.
5. أن لا يكون مطيباً.



ولا بد أن تؤمن المرأة أن هذا الحجاب هو لله
سبحانه وتعالى، وحينما تضعه يجب أن
تنظر لعين الله لا أحد سواه، لذلك لا تهتمك
نظرة الرجل الأجنبي، ولا تقيمه لشكلك أو
جسمك أو جمالك، المهم نظرة رضى الله
سبحانه لك.

وأخيراً:

يقول ابن القيم: "فِي الْقَلْبِ شَعَثٌ، لَا يَلْمُهُ إِلَّا الْإِقْبَالُ عَلَى اللَّهِ. وَفِيهِ وَخْشَةٌ، لَا يُزِيلُهَا إِلَّا الْأُنْسُ بِهِ فِي خَلْوَتِهِ. وَفِيهِ حُزْنٌ لَا يُذْهِبُهُ إِلَّا السُّرُورُ بِمَعْرِفَتِهِ وَصِدْقِ مُعَامَلَتِهِ. وَفِيهِ قَلَقٌ لَا يُسْكِنُهُ إِلَّا الْاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَالْفِرَارُ مِنْهُ إِلَيْهِ. وَفِيهِ نِيرَانٌ حَسَرَاتٍ لَا يُظْفِتُهَا إِلَّا الرِّضَا بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَقَضَائِهِ، وَمُعَانَقَةُ الصَّبْرِ عَلَى ذَلِكَ إِلَى وَقْتِ لِقَائِهِ. وَفِيهِ طَلَبٌ شَدِيدٌ لَا يَقِفُ دُونَ أَنْ يَكُونَ هُوَ وَحْدَهُ مَطْلُوبَهُ. وَفِيهِ فَاقَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا مَحَبَّتُهُ، وَالْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَدَوَامُ ذِكْرِهِ، وَصِدْقُ الْإِخْلَاصِ لَهُ. وَلَوْ أُعْطِيَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَمْ تَسُدَّ تِلْكَ الْفَاقَةَ مِنْهُ أَبَدًا."

هذه الكلمة النورانية من أعظم الكلمات التي تصف

حالنا، وأن قلوبنا فيها شعث وحزن وقلق، لا يلماها ولا

يؤنسها إلا الإقبال على الله عز وجل.

ولذلك سؤالي الأخير:

هو من الذي تتأخرين عنه؟

أنتِ تتأخرين عن الله! تتأخرين عن الله الذي أحبك، تتأخرين عن الله الذي يفرح بتوبتك أشد من فرح الرجل الذي أضاع دابته ثم وجدها، فقد قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا اسْتَيْقَظَ عَلَى بَعِيرِهِ، قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضِ فَلَاحٍ)، لماذا يفرح الله كل

هذه الفرحة بتوبة عبده؟ الله لا يريدك لأي شيء، لن يزيده أنك تزيدين طاعةً، ولكن الله يفرح لك أنتِ، لأن الله لا يحب أن يعذب أحداً، قال عز وجل: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا) (النساء: 147)